المرأة العربية وحياتها الاجتماعية والأدبية في العصر الجاهلي

إعداد الآنسة عصمت آراء

إن المرأة دوما لعبت دورا أساسيا في حياة المجتمعات الجاهلية والمعاصرة على حد سواء، وهي كما يقال عجلة من عجلتي الحياة تمشى جنبا إلى جنب الرجل، ومن دون مرافقتها له لا تتم الحياة كما لا يرتقى مجتمع ما إلى ذروة الكمال إلا بمشاركتها الفعالة في الحياة، وبهذا الصدد يقول زعيم الباكستان ومؤسسها القائد الأعظم محمد علي جناح:

No Nation can rise to the heights of glory unless its women are side by side the men [1]

"لن ترتقي الأمم ولن تعلو لها شأن إلا إذا ساندتها المرأة ووقفت بجنب الرجل في ميادين الحياة كلها".

نقطة الانطلاق:

تفتح المرأة عينيها في الأسرة لتعيش بنتا وأختا وزوجة وأما، ولا ينكر أحد عظيم مسؤولياتها في قاعدة الأسرة، فإذا كان الرجل يصنع الحياة، فالمرأة تصنع الرجال، ثم يظهر دورها الحقيقي في المجتمع عندما تقوم بأعمال ذات صلة اجتماعية بما فيها تربيتها لأولادها، ومن ثم تربيتها

---

[1]- Speeches & Writings of Mr. Jinnah by Sheikh Muhammad Ashraf Vo.١١.

للمجتمع، وإذا خاضت غمار الحياة بحثا عن لقمة العيش تجدها تتحمل تلك الأعباء بكل جدارة في ساحة لا ترحم ضعفها، كما أنها لا تزهد عن المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية وغير ذلك.

ففي هذه الدراسة سأحاول أن أضع بين أيديكم الجانب الاجتماعي والأدبي من حياة المرأة في العصر الجاهلي وملامحها وأدوارها التي قامت بها في حياتها، كما أوضح مدى نجاح وفشل هذه الظاهرة الاجتماعية في العصر الجاهلي.

ولمعرفة دور المرأة في المجتمع والأدب الجاهليين يجب أن نقوم بدراسة حياتها من الناحية العقلية والدينية والاجتماعية كما يجب أن نعرف شيئا عن العصر الجاهلي الذي نريد من خلالها دراسة دور المرأة.

العصر الجاهلي:

العصر الجاهلي يعرف عند المؤرخين بعصر ما قبل الإسلام بمأتي أو مائة وخمسين سنة. فكلمة (الجاهلية) مشتقة من الجهل بمعنى السفه، والغضب والنزق والاحتكام بغير ما أنزل الله، وقد جاء هذا المعنى في أكثر من مكان في القرآن الكريم[1] قال الله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[2] ، وقوله ﴿أتتخذونا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ [3].

وقد وردت هذه الكلمة في الحديث النبوي الشريف بهذا المعنى الذي حدده القرآن الكريم، روى النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر عند ما عير بلالا بأمه "إنك امرؤ فيك جاهلية".

---

[1]- تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ٣.

[2]- سورة الأعراف آية ١٩٩.

[3]- سورة البقرة آية ٦٧.

من ناحية أخرى تلمع نجوم الأدب الساطعة في العصر الجاهلي بما فيهم الرجال والنساء في فنون الأدب المختلفة شعرا أو نثرا، وسنشير إلى نوعين من الأدب فيما بعد، وسوف نشير كذلك إلى حياة المرأة وتأثيرها على المجتمع.

كذلك شاركت المرأة الرجل في الحياة العقيلة من علوم الفراسة، والقيافة والكهانة، والعرافة، زد على ذلك الناحية الدينية حيث تقلدت الأديان المتباينة التي كانت من أبرزها[1] :

١_ عبادة الأصنام والأوثان.

٢_ عبادة النجوم والكواكب.

٣_ ديانة النبي إبراهيم عليه السلام.

٤_ الديانة اليهودية.

٥_ الديانة المسيحية.

والحالة الاجتماعية تدل على أن القبيلة كانت هي النواة التي يتألف منها المجتمع، وكانت للعقائد والعادات دور كبير في قوام الأسرة والقبيلة عند العرب حيث ينشأ الطفل على ما كانت تلقنه أم من عادات وتقاليد، لا جرم أن الرجل (الأب) كانت له المكانة الأولى في القبيلة والأسرة في قيادة الأحكام من الموت والحياة والبيع والانتفاء، ولربما وأد ابنته خوف الفقر، وانتفى من أمته خوف العار[2]، ولكن في نفس الوقت المرأة أيضا تمتعت من المكانة السامية الثانية في الأسرة بجلبها الزوج في نفسه ويشاركها في أمره ويتغنى باسمها في شعره ويفتخر الابن بنسبته إلى أمه كما يفخر بانتسابه إلى أبيه وكان عقد الزواج هو الرباط الغالب بين الرجل والمرأة، وللرجل وحده الحق في الطلاق، إذا لم يشترط عند العقد خلاف ذلك [3].

---

[1]- معالم التاريخ الإسلامي للأستاذ أحمد صادق حسن ص ١٩.

[2]- نفس المصدر ص ١١.

[3]- تاريخ الأدب العربي للسيد أحمد حسن الزيات ص ١٠.

والمرأة قد قدرها الشاعر العربي أروع تقدير عندما أصبح استهلاله لقصيدته بذكرها ضرورة فنية متبعة وعرفا شعريا شائعا أثر في الشعر العربي من حيث الشكل إلى العصر الحاضر[1]، وكثيرا ما كانت المرأة العربية تلعب دورا هاما في الحروب وعقد المعاهدات، ومحاولات الصلح والسلام بين القبائل المتنازعة وكانت حرة في أمر الزواج، وكانت تستشار في الرأي فيقبل رأيها ويؤخذ به، ومع اعتزاز أكثر القبائل العربية بالمرأة إلا أن بعض تلك القبائل (وقد كانت حالة شاذة نادرة) كانت تئد بناتها حرصا على شرفها من عبث العابثين نتيجة للحروب المستمرة وما تجره من ويلات وانتهاك للمقدسات أو نتيجة الفقر والإملاق، كما وضح القرآن الكريم ﴿وإذا المؤدة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ [2]،﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾[3]، ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ [4].

ومع اهتمامهم للمرأة وجعلها عضوا لهم له أهميته الكبيرة في حياتهم الاجتماعية وبالرغم من وجود عادة وأود انبنات في بعض البطون من تميم وأسد فإنهم كانوا يفضلون الذكر على الأنثى وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثي ظل وجهه مسودا وهو كظيم*يتواري من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[5]، وربما كان سبب هذا التفضيل كثرة الحروب والأيام في حياتهم، تلك الحروب التي تستدعي وجود عنصر الرجال أكثر من النساء مع أن نساء القبيلة كن يشاركن رجالها في مثل تلك الحروب فيشجعن أبناء القبيلة ويمرضن الجرحي.

---

[1]- نفس المصدر ص ٢١٢.

[2]- سورة التكوير آية ٨ ، ٩ .

[3]- سورة الإسراء آية ٣١.

[4]- سورة الأنعام آية ١٥١.

[5]- سورة النحل آية ٥٨- ٥٩.

كانت المرأة العربية تشارك الرجال في أحوال المعيشة بغض النظر عن الحروب والأيام، وقد أدت دورها في هذا المجال أيضا وخير المثال على ذلك هو مثال السيدة خديجة التاجرة رضي الله عنها التي كانت ترسل أموالها (البضائع) في الأسواق المشهورة التي تقام في أشهر السنة للبيع والتسوق وإلى بعض الدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية والمناطق البعيدة عن طريق عبدها ميسرة وتربح أموالا كثيرة وكانت تعد امرأة ثرية جدا.

وبالإضافة إلى كل ما ذكر أعلاه، لا يمكن أن ننسى دورها في السياسة وهذا ما أثبته أحد المؤرخين المشهورين " إن المرأة العربية كانت منذ قديم الزمان تتداول مع الرجل سياسة الأمة، وولاية الأمر، وتنظيم العمل وشؤون الحياة في الوقت الذي كانت المرأة الرومانية تدين بالعبادة للرجال، وكانت تعبده من دون الله الواحد القهار [1]، ويصدق التاريخ قول هذا المؤرخ إلى حد كبير في عديد من القصص التاريخية الشهيرة التي تصور النسوة في عصر ما قبل الإسلام وقد تولت الكتب السماوية تقديم نساء ذلك العصر وقوة شخصياتهن التي تركت أعمق الأثر في حياة مجتمعاتهن والتاريخ.

ويضرب القرآن الكريم لنا أروع الأمثلة في هذا السبيل بقصة بلقيس ملكة اليمن العربية، التي وصفت الآية الكريمة عرشها بقوله ﴿ وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾ [2]، وكانت بلقيس برغم الثقة المطلقة التي كان قومها يضعونها فيها، تحكم اليمن حكما ديمقراطيا قائما على الشورى، وكانت بما تتحلى به من الحكمة والعدل والذكاء تلعب دورا هاما سياسيا خطيرا في البلاد، والشعب كله يعتمد على رأيها وأمرها، وأول ما عناها هو

---

[1]- المرأة المصرية ت درية شفيق ص ٢١٥.

[2]- سورة النمل آية ٢٣.

التفكير في تجنيب شعبها شر رأيها وأمرها، وأول ما عناها هو التفكير في تجنيب شعبها شر الحروب والدمار وهو الذي حملها أمانة حمايته والزود عن رفاهيته واستقراره فعمدت إلى اختيار سليمان أولا بأن أرسلت إليه بهدية ثمينة غالية ردا على رسالته لترى إذا كانت أغراضه في بلادها مادية تهدف إلى الربح وتقوم على الطمع، أم أنها دعوة دينية صادقة تبشر برسالة روحية خالصة من شوائب الشر والدجل، وكان هذا التصرف منها عين الحكمة، ولا شك لأنها تمكنت بعد ذلك من أن تأمن جانب سليمان وتهتدي إلى الحق، فكانت بلقيس بذلك تمثل أهم خواص المرأة السياسية عندما تضطلع بالخطير من المسؤوليات وتواجه الرقيق من المواقف التي تمكنها من اكتساح أشد العقبات في تعقل وبصيرة فطرية سليمة.

وإذا تركنا بلقيس ملكة اليمن التي اختبرت الأنبياء وخلدتها آيات القرآن ورفعت قدرها، فإننا نجد أن بلقيس لم تكن السيدة الوصية التي تحكم في الوطن العربي أيام الجاهلية، فهناك أيضا ملكة مشهورة أخرى باسم زينب ملكة تدمر العربية التي نهضت بأعباء بلدها وأدارت سياسته وقادت حروبه ونجحت في توسيع رقعته حتى امتد ما بين مجاهل إفريقيا ومعالم أنقرة، وقد قفز بفضل رعايتها وإدارتها إلى مصاف الدول القوية وإمبراطوريات العصر، فقد كانت تمتاز بشخصية قوية صلدة أهلتها للزعامة على قومها ولانتزاع التقدير من خصومها، ويحكي أنها كانت تقود بنفسها المعارك الحربية التي يخوضها جيشها فتنزل الميدان كاملة الزينة باهرة الجمال ممتطية جوادها، شارعة سيفها تتقدم بالجيوش، تثير الهمم وتدير المعركة، لا تعود إلى بيتها حتى تطمئن على سلامة رجالها وانتصار وطنها،

وزينت هذه كانت تسمى "بالزباء"[1]، وهي أيضا صاحبة القول المأثور" بيدي لا يبد عمرو" [2]،عندما أيقنت من تآمر عمرو بن عدى على قتلها في أخريات أيامها انتقاما منها لأسرها خاله ملك الحيرة في إحدى المواقع الحربية، وهكذا أبت شجاعتها وكبرياؤها أن تعطى عدوها فخر قتلها بيده، فأثرت قتل نفسها، وهو ضرب من الإباء والشجاعة التي تميزت بها المرأة العربية وكانت من صميم تقاليدها.

وبرغم اقتحام المرأة العربية في العصر الجاهلي لميادين السياسة والأدب وارتيادها الأسواق والخروج إلى الحروب واعتلاء العروش فإن أحدا من قومها لم يتهمها بالانصراف عن تأدية رسالتها كاملة كأم وزوجة، بل كان ينسب إليها فضل صنع أبطال العرب بتنشئتها وتوجيهاتها لهم. [3].

ورغم بروز المرأة العربية في الميادين المختلفة إلا أنها كانت كثيرا ما تعانى من أوضاع قاسية منها:

١- ما كانت تمارس شخصيتها الحقيقية وتتمتع بحقوقها الشرعية في شكل قانوني قبل الإسلام، فكانت عليها أن تظهر شخصيتها القوية عن طريق نبوغها الذاتي وقوة عزيمتها وذلك في مجتمعات معينة، هي تلك المجتمعات التي قد بلغت حدا من التمدن يستسيغ عدم التقيد بحدود التقاليد الجاهلية الرجعية التي كانت تطبق في أضيق الحدود، مثلما كانت في المجتمعات العربية البدائية، وإلى حد ما في شبه الجزيرة العربية قبل بزوغ فجر الإسلام، والاندلاع البعثة الإسلامية،

---

[1]- نظرا لغزارة شعر حاجبيها وسعة عينيها وهما علامات الجمال عند العرب.

[2]- هذا مثال وارد شائع على ألسنة العرب تفوهت به هذه الملكة الأديبة.

[3]- المرأة المصرية درية شفيق ص ٢٥.

فقد كانت المرأة تؤدى دورها في أهم وأدق شؤون المجتمع من وراء الستار وبدون صفة شرعية لذلك فقد كان مركزها الظاهر هو العبودية التي كانت تتخذ أشكالا تبعا للظروف والبيئة.

٢- ومن ناحية أخرى كانت ضحية لسلوك الرجل القاسي تجاهها، فقد كان الرجل دائما يحس بأنه يشترك في الإنتاج والاستهلاك بينما المرأة تستهلك ولا تنتج إلا أحيانا، ويحس بأنها تعيش عيالا عليه [١]، فإذا أضفنا إلى ذلك، أن جمال ابنته قد يكون سببا في غارة إحدى القبائل على أرضه أدركنا سر ما كانت تعانيه المرأة يومئذ من الاضطهاد، وما كانت تلقاه منذ طفولتها من الأب والأخ أو العم ... الخ، الذي يضيق ذرعا بنفقات طعامها، أنها في نظرته متطفلة لا حق لها على الأقل، في أن ترث من ماله شيئا، فقد كان البعض من أولئك الآباء يتخلصون من بناتهم بمجرد ولادتهن بوأدهن أحياء[٢]، ومنهم من كان يئد البنت إذا كانت سداسية، ومنهم من كان يئدها إذا كانت زرقاء أو شيما أو برشا أو كسحا، تشاؤما منهم بهذه الصفات[٣].

ومن هذا حديث سودة بنت زهرة ابن كلاب وقد ولدت على بعض هذه الصفات ورآها أبوها وأمر بدفنها ولكن وقت دفنها سمع الرجل المأمور بدفنها هاتفا يقول:لا تئد الصبية وخلها البرية، فأخبر والدها بما سمع فقال: إن لها لسانا وتركها، فكانت كاهنة قريش [٤].

---

[١]- بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب- السيد محمود شكري الألوسى البغدادي الطبعة الثانية ٣/٤٢

[٢]- تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ١/٦٥ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٣]- الشيماء: سواد والبرشا : من البرش وهو بياض يظهر في الجلد مثل البرص والكسحاء : العرجاء.

[٤]- بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب السيد محمود شكري الألوسى البغدادي الطبعة الثانية ١/٤٤.

فلم تظفر المرأة العربية بحقوق قانونية يعترف بها المجتمع كما ذكرت سابقا، هكذا ظلت بين التقدم والتأخر تبعا لظروف البيئة، واختلاف الفرص وهو ما لا يمكن معه وضع قاعدة ثابتة لتحديد مكانتها قبل الإسلام سوى أنها كانت قوية بالفطرة مستعبدة بتقاليد الجاهلية الوثيقة [1].

على كل كانت المرأة من هذه النواحي تعاني من الظلم كثيرا وكانت مظلومة فعلا ولما جاء الإسلام قضى على هذه التقاليد والعادات القبيحة ونهى العرب من وأد البنات ونعرف جيدا ما ورد في كلام الله في هذا الشأن من الآيات المتلوة، فالإسلام هو الدين الذي رفع مكانة المرأة فعلا ووضعها في موضعها اللائقة بها.

إن المرأة العربية في العصر الجاهلي كانت تهتم بزينتها وتجميل نفسها وهذه غزيرة فطرها الله سبحانه وتعالى عليها أنها تحب أن ترى جميلة وهذا يشهد به التاريخ ما نراه محفورا ومنقوشا في التماثيل والأحجار والمتاحف لقدماء المصريين والرومان، ويقول أمروا القيس عن وصف المرأة الجاهلية وأسلوبها في تنسيق وترتيب شعرها:

غدائرها مستشزرات إلى العلاء تضل العقاص في مثنى ومرسل

ففي هذا العصر كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ وتمشى وسط الطريق تعرض نفسها بقميص من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين، وتلبس الثياب الرقاق ولا تواري بدنها.

ففي العصر الجاهلي نرى اهتمام المرأة بزينتها كثيرا كما ذكرنا سابقا لنأتي بمثل آخر نراها تزين نفسها حتى في الحروب، أنظر إلى زينب ملكة تدمر العربية التي نهضت بأعباء بلدها وأدارت سياسته وقادت حروبه

---

[1]- العصر الجاهلي – شوقي ضيف الطبعة الثامنة ص ٢٠٦.

ونجحت في توسيع رقعته وكانت تمتاز بشخصية قوية صلدة أهلتها للزعامة بين قومها وانتزاع التقدير من خصومها، ويحكى عنها أنها كانت تقود بنفسها المعارك، تنزل الميادين كاملة الزينة، باهرة الجمال تستثير الهمم وكانت زينتها تثير وتحرض مشاعر العرب، وزينب هذه تسمى بالزباء لغزارة شعر حاجبيها وسعة عينيها كما أشرنا سابقا.

وكانت المرأة في الجاهلية قبلة أنظار الشعراء وقد قدرها الشاعر العربي بسبب جمال وجهها وبدنها أروع تقدير عندما أصبح استهلاله لقصيدته بذكرها ضرورة فنية متبعة وعرفا شعريا شائعا أثر في الشعر العربي من حيث الشكل إلى العصر الحاضر، وفي حياة المجتمع الجاهلي قديما، في البوادي والحواضر.

يوشك أن يكون مفهوم الجمال متمثلا بالمرأة متركزا فيها .... فالجاهلي لا يجد في حياته الضيقة تعبيرا عن حس الجمال إلا في هذا الجمال الأنثوي ...لم يكن يهزه كما يبدو جمال الطبيعة ... بلى كان يحس به لكنه ما كان يقتنع به وكان يتذوقه من غير أن يروى ظمأه...ولم يكن الجمال الخلقي ليعوض جمال الصورة وإبداع الخلقة، إنه يمتدح المكارم الخلقية ويشيد بها، ولكنها كانت تظهر عنده مقترنة بالمفاتن الجسدية، إن المرأة هي جماع مظاهر الجمال والصورة، فهو لا يشيد غيرها في حياته الرتيبة وهي تكاد لذلك محور اهتماماته النفسية ووثباته العاطفية[1]. إنما الجمال يخفق في إشراقه وجهها وحور عينيها وطول جيدها واعتدال قامتها وهو لذاك حين ينشد فيها وحين يلمسه إنما يتلمسه عندها، لذلك نرى أن المرأة كانت شيئا هاما في حياة البادية وفي حياة الجاهلي العاطفية والجمالية، أنها

---

[1]- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام الدكتور شكري فيصل الطبعة السادسة، ص ٧٨٠ دارا لعلم للملايين ١٩٨٤م .

في صورة أخرى من صور التعبير لغة الجمال المشتركة بين هؤلاء الجاهليين يلتقون عندها ويشتركون جميعا فيها، ويتحدثون فيها ويجيدون الحديث كل بالحظ الذي قدر له، إن جمال المرأة هو الصورة المثلى للجمال، إنه يفوق كل شئ سواء [1].

وتدور في كتب الأدب قصص وأشعار كثيرة تصور هيام بعضهم بهن وكانوا دائما يفتحون قصائدهم بذكرهن وما كان لهم من ذكريات معهن في بعض المعاهد والمنازل، ويمزجون ذلك بدموع على نحو ما يقول إمرؤا القيس في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[2].

ومما يدل على أن المرأة أثرت تأثيرا قويا في وضع واندلاع القريحة الأدبية لدى الشعراء وأدباء العرب في العصر الجاهلي، حيث نرى الشعراء يقفون عند المرأة، فيصفون جسدها ولا يكادون يتركون شيئا دون وصف له، إذ يتعرضون لجبينها وخدها وعنقها وصدرها وعينيها وفمها وريقها ومعصمها وساقها وثديها وشعرها، كما يتعرضون لثيابها وزينتها وحليها ووطيبها وحيائها وعفتها.

وقد يتعرضون لبعض مغامراتهم معها، وهي مغامرات تحول بها بعض الرواة إلى قصص غرامية على نحو قصة حب المرقش الأكبر لأسماء والأصغر لفاطمة بنت المنذر وحب المنخل اليشكري للمتجردة زوج النعمان وله قصيدة رائعة رواها الأصمعي[3]، وهي تجري على هذا النمط.

---

[1]- تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ،ص: ٨٥ الطبعة الثامنة دار المعارف بمصر.

[2]- المعلقات السبع.

[3]- عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: رواية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان لقب بذلك نسبة إلى جده أصمع، ومولده ووفاته في البصرة، كان الرشيد يسميه "شيطان الشعر" قال الأخفش" ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي" أخباره كثيرة وتصانيفه كثيرة جدا منها الإبل-ط والأضداد- ط وخلق الإنسان والخيل .... الخ.

ولقد دخلت على الفتاة الحدر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر فل الدمقس [1] وفي الحرير
قد دفعتها فتدافعت مشى القطاة إلى الغدير.
ولثمتها فتنفست كتنفس الظبئ البهير [2]
فدنت وقالت يا مذ خل ما بجسمك من حرور
ما شف جسمي غير حب ك فأهدئى عنى وسيري [3]

وقبل أن نذكر موقف الشعراء من المرأة وخصالها الكريمة، ينبغى لنا أن نصف لكم نوعين من النساء في الجاهلية، أي الحرائر، والإماء فقد كانت الإماء كثيرات، وكانت منهن عاهرات يتخذن الأخدان وقينات يضربن على المزهر وغيره، في حوانيت الخمارين، كما كانت منهن جواري يخدمن الشريفات، وقد يرعين الإبل، والأغنام في منزلة دانية، وكان العرب إذا استولدوهن لم ينسبوا إلى أنفسهم أولادهن، إلا إذا ظهروا بطولة تشرفهم على نحو ما هو معروف عن عنترة بن شداد، وكانت الحرة تقوم بطهي الطعام ونسج الثياب وإصلاح الخباء إلا إذا كانت الشريفات قليلات فإنه كانت تقوم لهن على هذه الأعمال بعض الجواري وتدل دلائل كثيرة أن بنات الأشراف والسادة كانت لهن منزلة سامية فكن يخترن أزواجهن ويتركنهم إذا لم يحسنوا معاملته، وبلغت منزلة بعض شريفاتهن أنهن كن يحمين من يستجير بهن ويردون إليه حريته إذا استشفع بهن، على نحو ما ردت فكيهة إلى التسليك بن السلكة حريته حين وقع أسيرا في يد عشيرتها من بنى عوار [4].

---

[1]- الدمقس: الحرير.
[2]- البهير: الجميل.
[3]- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف ص ٣١٣/٢١٣.
[4]- الأغاني، الطبعة السادسة ص ١٨/٣٨.

ولم تكن النساء في العصر الجاهلي تعدم الخصال الكريمة، يقول الشنفري في زوجته أميمة [1].

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت

تبيت – تعبد النوم – تهدى غبوقها لجارتها إذا الهدية قلت

تحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حلت

كان لها في الأرض نسيا تقصه على أمها أن تكلمك تبلت

إذا هوامس آب قرة عينه مآب السعيد لم يسل أن ظلت.

يريد أن يقول أن صاحبته خجول ووقور، لا يسقط قناعها في أثناء سيرها ولا تلتفت حولها، وهي كريمة مؤثرة، شديدة الحياء وأنها مثال العفة والجلال، والنساء في العصر الجاهلي كن يشاركن الرجال في الحروب ولكن يشددن من عزائمهم بما ينشدن من أناشيد حماسية وتلمع في هذا الجانب أسماء كثيرات على رأسهن الخنساء [2] ومراثيها في أخويها صخر ومعاوية.

بعدما أشرنا إلى حياة المرأة من نواحي عديدة في العصر الجاهلي نتجه الآن إلى حياتها الأدبية وقبل الخوض في ذلك دعونا مع إطلالة على الأدب نفسه.

يحصر الأدب العربي في قالب عصور أدبية، تبدأ بعصر ما قبل الإسلام، وتنتهي بالحديث، ولكل عصر مميزات وسمات ولكن الأدب لا يتغير تماما بين عصر وآخر، فإنه يستمر في تطوره ويحاول العصر التالي أن يستفيد من مورده ويعمل على ترسيخ جيده ونمائه.

---

[1]- المفضليات رقم ٢.

[2]- هي تماضرت بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من بنى سليم من قيس غيلان من مضر أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق أدركت الإسلام فأسلمت، الإعلام ٨٦/٢.

ويعتبر عصر ما قبل الإسلام الأساس والمنطلق الأول للأدب العربي عبر العصور، يليه صدر الإسلام والعصر الأموي فالعباسي ثم العصور المتأخرة حتى العصر الحديث، وبغض النظر عن هذه العصور ندخل موضوعنا الذي يتعلق بالأدب في العصر الجاهلي (خاصة أدب المرأة الجاهلية وعلاقتها به) فحسب، حيث أن البحث هذا يبحث فيه ويقتضى أن نشرح كلمة "الأدب" في هذا العصر بعناية جيدة تامة مع التعريف ولكل ما يتعلق به ولفروعه في هذا العصر.

لقد دلت مادة كلمة " الأدب" في العصر الجاهلي على الدعوة للمأدبة ، وقد ورد هذا المعنى على لسان بعض شعراء ذلك العصر، وقد استعمل العرب من مادة "أدب" (المأدبة) بمعنى الطعام الذي يدعى إليه الناس واستعلموا الفعل أدب، يأدب أي أقام المأدبة أو دعا الناس إليها، وبقيت مادة "أدب" مستعملة بهذا المعنى تهذيبيا خلقيا في عصر صدر الإسلام، وعند الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تدل على مكارم الأخلاق في قوله "أدبني ربي فأحسن تأديبي" أو في قوله: "القرآن مأدبة الله في الأرض" ويبقى مدلولها الخلقي هذا شائعا على لسان العرب حتى العصر الأموى حيث يبدأ معنى تعليمي جديد آخر يصاحب معناها الخلقي التهذيبي الذي عرفت به في عصر صدر الإسلام.

فالأدب الجاهلي يعنى كل ما أنتجه العرب في ذلك العصر من شعر ونثر بفنونه المختلفة من خطب ووصايا وحكم وأمثال وقصص، فتاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي يعنى كل ما خلفه العرب في ذلك العصر من شعر و نثر وآثار فكرية أخرى تؤلف مجتمعه مصادر ثقافة العرب وقتئذ.

الأدب كما رأينا يشتمل على الشعر والنثر والفروع الأخرى الكثيرة (الخطابة والكتابة والقصص والمقال والمسرحيات) ولكن الركيزة على

مدارين رئيسيين: فن الشعر وفن النثر ولكل واحد منهما خصائصه ومميزاته وأقسامه. لنرى أولا ما هو الشعر الذي اشتركت فيه المرأة مع الرجل.

الشعر عند العرب: هو القسم الأول من قسمي الكلام وعرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى ويرادفه الشعر عندهم أما المحققون من الأدباء فيحصرون الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالبا عن صور الخيال البديع[1]، وهنا تتجلى لنا بعض الألوان الشعرية التي يقتضي المقام الإشارة إليها:

١- الشعر الغنائي. ٢- الشعر الملحمي.

٣- الشعر المسرحي ٤- الشعر التعليمي.

١-الشعر الغنائي:

هو الذي تظهر فيه شخصية الشاعر واضحة "ظاهرة" فهو الشعر الوجداني من غزل ورثاء وهجاء ومدح ووصف وحكمة وزهد.

٢- الشعر الملحمي:

والملحمي والملحمة قصيدة شعرية طويلة تصف حربا وتتحدث عن تاريخ أمة وكثيرا ما تنطوي على حب وتشتمل عادة على خوارق وأساطير.

٣- الشعر المسرحي:

ويتألف هذا اللون الشعري من القصص المنظمة شعرا والقائمة على عنصر الحوار والقابلة للتمثيل على المسرح وتعد المسرحيات الشعرية التي نظمها أحمد شوقي ١٨٦٨- ١٩٣٤م من أمثال مجنون ليلي وكليوباترا وقمبيز من أبرع الشعر المسرحي في الأدب العربي.

---

[1]- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه الشيخ أحمد الأسكندري والشيخ مصطفى ص ٤٢.

٤- الشعر التعليمي:

وهو الشعر الذي يحاول فيه الشاعر نظم فنون العلم والمعارف كالنحو والقصة والتاريخ تسهيلا لحفظها ومن أمثلته: ألفية ابن مالك في النحو العربي.

والشعر الجاهلي جميعه غنائي، إذ يماثل الشعر الغنائي الغربي من حيث أنه ذاتي يصور نفسية الفرد سواء حين يتحمس الشاعر ويفخر أو حين يمدح ويهجو أو حين يتغزل ويرثى أو حين يعتذر ويعاتب أو حين يصف أي شئ مما ينبت حوله في جزيرته وليس هذا فحسب، فهو يماثل الأصول اليونانية للشعر الغنائي الغربي والشعراء أنفسهم كانوا يغنون فيه منها غناء المهلهل في قصيدته:

طلقة ما ابنة المحلل بيضاء لعوب لذيذة في العناق

ومعنى ذلك أن الشعر الجاهلي ارتبط بالغناء عند أقدم شعرائه، نجد أبا الفرج الأصفهاني يشير إلى أن شاعرا جاهليا يغنى ببعض شعره من مثل السليك وعلقمة بن عبدة الفحل، والأعشى وكان يوقع شعره على الآلة الموسيقية المعروفة باسم الضج [١].

ومعنى كل ما قدمناه أن الشعر في الجاهلية كان يصحب الغناء والموسيقي، فهو شعر غنائي تام، أما مواطن الشعر الجاهلي فبيئة الحجاز ونجد، وأسواقها المنتشرة طول العام، كانت محطة تلتقى فيها القبائل العربية لتتفاخر بأنسابها وتتحدث عن بطولاتها، كان الرجز أول صور الشعر العربي، وصاحب الرجز كل أيام العرب الحربية حتى عد من مستلزمات القتال وفنون الحرب. [٢].

---

[١]- العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص ١٩١، الطبعة الثامنة دار المعارف مصر.

[٢]- الأدب العربي الدكتور عناد غزوان إسماعيل ص ٣٣/ ٣٤.

مكانة الشاعر الجاهلي:

أما مكانة الشاعر الجاهلي كانت رفيعة بين أفراد القبيلة وكان يعد لسان القبيلة وسيفها البتار يحمى أعراضها ويرفع ذكرها فهو الممتدح لمفاخرها المعظم لبطولاتها وأمجادها.

وقد بين "ابن رشيق القيرواني" مكانته ومدى فرح القوم به في القبيلة عندما قال: " كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ووضعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس لأنه (أي الشاعر) حماية لأعراضهم وإشادة بذكرهم وذب عن أحسابهم [1].

وجدير بالذكر أن المرأة الجاهلية أيضا يلمع أسمها على سماء الشعر إذ نجد كثيرا منهن رائعاتت في كل صنف من أصناف الشعر العربي (وسنشير إليها الأوراق القادمة) فقد كان لها حظ كبير في كل غرض من الأغراض الأدبية التي ستجدها بعد ذكرنا للشعر العربي الغنائي في الجاهلية.

ويتحدث الجاحظ عن مكانة الشاعر الجاهلي فيقول: "والخطباء كثيرون في الجاهلية والشعراء أكثر منهم [2].

ويقارن بين مكانة الشاعر والخطيب فيقول: كان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب" [3]، ومن ذلك نرى أن الشاعر الجاهلي كان يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة ما دام شاعر القبيلة والمرأة الشاعرة معه متمتعة بهذه المكانة.

---

[1]- نفس المصدر ص ٣٣.

[2]- المصدر السابق (الأدب العربي) الدكتور عناد غزوان إسماعيل ص ٣٣ و ٣٤ الطبعة السادسة مطبعة السعدون بغداد.

[3]- نفس المصدر ص ٢٤.

أغراض الشعر الجاهلي:

١-النسب، ٢-الفخر والحماسة، ٣- المدح، ٤-الرثاء، ٥- الهجاء، ٦- الاعتذار، ٧- الوصف، ٨- الحكمة والمثل. [١]

النثر الجاهلي:

النثر الجاهلي هو القسم الثاني من قسمي الكلام وهو صورة من صور الأدب الذي يقصد به صاحبه إلى التأثير في نفوس السامعين وعقولهم معتمدا على صياغة خاصة ومهارة تتجلى من جمال الأداء والتعبير وهو أنواع منه ما يكون قصصا وما يكون خطابة وما يكون رسالة أدبية.

لا شك أن العرب في الجاهلية كانوا قد عرفوا الكتابة غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية، الشعرية أو النثرية، ولكنهم اعتمدوا عليها في حاجاتهم التجارية والسياسية، لذلك فإن ما وصل إلينا من النثر الجاهلي يبدو زهيدا لا يعتد به إذا ما قورن بالشعر الجاهلي، وهذا القدر من النثر الجاهلي يتمثل في مجموعة الأمثال والخطب، والمفاخرات والقصص وسجع الكهان وبعض الوصايا [٢] التي تصور حياة العربية الجاهلية مثل الشعر الجاهلي تماما.

فقد لعبت الحروب والأيام دورا كبيرا في خلق فنون النثر في ذلك العصر من خطبة أو قصة أو مثل وقد امتاز النثر الجاهلي بكونه موسيقيا كالشعر تتخلله جمل ذات سجع ووقع مؤثر وأكثر جملة قصيرة موجزة فيها

---

[١]- أيبت بأعراض الشعر دون التعريض لتعريفها وتوضيحها من باب التعداد وتسلسل الموضوع بالإضافة إلى كثرة شروحها في الأدب.

[٢]- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه الشيخ أحمد الأسكندري والشيخ مصطفى عنانى الطبعة الخامسة ص ٢١.

قوة وبلاغة وتعبير كقولهم الشائع: "خير الكلام ما قل ودل" يوضح ظاهرة الإيجاز في النثر الجاهلي بخاصة [1]

فنون الشعر:

١- الأمثال : للعرب في الجاهلية مجموعة كبيرة من الأقوال التي ذهبت أمثالا لاقترانها بحادثة مهمة في حياتهم وتصويرها تجربة معينة ذات مدى يكشف الكثير عن أخلاق العرب وأحوالهم النفسية والاجتماعية وقد تكون الأمثال نثرا أو شعرا وقد جمع "الميداني" طائفة كبيرة منها في كتابه "مجمع الأمثال".

٢- الخطابة : وجدت الخطابة في العصر الجاهلي وساعدت الحروب الكثيرة بين القبائل على ازدهارها، وتمتاز الخطب الجاهلية بقصرها، وأشهر الخطباء في هذا العصر من النسوة ومنهن: هند بنت خميس، وزرقاء اليمامة، وجذام بنت الريان، وصحر بنت لقمان، وخصيلة بنت عامر ابن الظرب وغيرهن [2].

٣- الكتابة : يراد بالكتابة عند الأدباء صناعة إنشاء الكتب والرسائل، والكتابة بمعنى إنشاء الكتب والرسائل فهي لازمة لكل أمة متحضرة ذات دولة منظمة.

٤- سجع الكهان: هو الكلام الموزون المقفى كان عاما بين الكهان في العصر الجاهلي.

---

[1]- الأدب العربي للدكتور عناد غزوان إسماعيل الطبعة السادسة ص ٩٤ مطبعة السعدون بغداد.

[2]- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام عمر رضا كحالة الطبعة الثانية الجزء الثاني والخامس ص ٢٣١، ٢٢٣، المطبعة الهاشمية بدمشق.

مميزات النثر الجاهلي

النثر الجاهلي له مزايا خاصة منها:

١- قلة استعمال الجمل والعبارات المتواردة على معنى واحد كما يفعل الجاحظ وأشباه المولدين.

٢- قلة ولوعهم بالتكلف في صوغ العبارات وأساليبهم وسجعهم، اللهم إلا ما وقع من سجع كاهن أو عراف.

٣- قلة تأنقهم في انتقاء الألفاظ المناسبة للوزن.

٤- قصر الجمل.

٥- كثرة استعمالهم الكتابة الغريبة المنال.

٦- ميلهم إلى الإيجاز.

٧- قلة تعمقهم في استخراج المعاني البعيدة.

هذه المزايا كلها قد امتازت بها المرأة الجاهلية في كلامها لذلك تصدق فيهن قول المؤرخ المشار إليه لاحقا أن المرأة العربية كانت منذ قديم الزمان تتداول مع الرجال سياسة الأمة وولاية الأمر وتنظيم العمل وشؤون الحياة في الوقت الذي كانت المرأة الرومانية تدين بالعبادة للرجال، وكانت تعبده من دون الله الواحد القهار[١].

وكان في نساء العرب في أيام الجاهلية ذوات كمال ووفور معرفة أو مزيد فطانة وذكاء وحدة نظر حتى تزينت بذكر مآثرهن صحف التواريخ وقد دونت بحوث ودواوين مشهورة في فصاحة كلامهن، وكانت منهن جملة اشتهرت بإصابة الحكم وفصل الخصومات وحسن الرأي في الحكومة وأيضا منهن ذوات السياسة الكبيرة وكن يقدن دولتهن بطريقة حسنة جيدة.

---

[١]- المرأة المصرية درية شفيق ص ٢١.

وكانت البلاغة هي الظاهرة التي تميزت بها المرأة العربية من نساء العالم جميعا وهي بلاغة فطرية أصيلة في نفسها ناتجة من ظروف البيئة العربية وطبيعة انطلاق الحياة البدوية، وإذا كانت هي أمثلة تغلغل المرأة العربية في حياة بلادها السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية وممارستها حقوقها السياسية في أوسع نطاق فإن نشاطها في مختلف مجالات الحياة العامة لم يكن يقل عن ذلك خلودا ومجدا [١].

نماذج من نساء مشهورات في الأدب الجاهلي وبعض المجالات الأخرى:

من المعروف أن المرأة دائما تلعب دورا هاما خطيرا في المجتمع الذي تعيش فيه، لهذا ملئت كل العصور بالأسماء الكثيرة اللامعة من النسوة اللواتي برزن على مسرح الحياة من نواحي عديدة مختلفة، والمرأة لم تتخلى أبدا عن أداء الأوامر الخطيرة من الرجل، والحق أن الرجل لم يحصل على النجاح في ميدان ما إلا بسبب مشاركة المرأة له، فلو تصفحنا تاريخ أي عصر من العصور من حيث الحروب والأدب والسياسية والمعيشية ... الخ، وجدنا النسوة يقمن بأداء الأعمال الهامة في المجتمع وبهن ترتفع المجتمعات فعلا، خاصة من ناحية الخلق والتربية كما قال القائد الأعظم الزعيم الباكستاني (مؤسس باكستان) "لا تستطيع أي أمة أن تبلغ شموخ العز والعظمة والشوكة إلا بمشاركة المرأة مع الرجل في كل الميادين" [٢].

هكذا العصر الجاهلي أيضا غنى بنسوته اللواتي أضفن إلى تحقيقات عالية من حيث الأدب والسياسة والمعيشة والعقل... الخ، لا يتسع المجال البحث عن ما لهن من مآثر وأمجاد، لكن ينبغي أن نقتطف من كل بستان

---

[١]- نفس المصدر ص ٢٥.

[٢]- Speeches & Writings of Mr. Jinnah by Sheikh Muhammad Ashraf Vo.١١

زهرة فنأتي ببعض ممن برزت أسماؤهن في المجالات التي تتعلق بهن، وعلى رأس قائمة النسوة المشهورات في الأدب تقف الخنساء ولها الريادة في أن نذكرها أولا:

١- الخنساء: هي الخنساء تماضر من سليم العرب القيسية في أعالي الحجاز إلى نجد، هي ابنة عمرو بن الشريد من قبيلة سليم التي نشأ فيها زهير بن أبى سلمى الشاعر المشهور وغيره، هي شاعرة خطيبة ذات فصاحة وبلاغة وحكمة وتعد من أبرز شواعر العرب المشهورات، إنما الخنساء لقب غلب عليها وهي الظبية [١].

شعرها يمتاز بمراثيها لأخويها التي تعد من طليعة الشعر الرثائي في الأدب العربي، بعد ظهور الإسلام أسلمت وقد استشهد أولادها الأربعة في معركة القادسية سنة ١٦هـ فلم تجزع وقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم" وهي الشاعرة المشهورة التي عدها الشاعر جرير أشعر الشعراء عندما سئل من أشعر الناس.

قالت ترثي أخاها صخرا:

ألا يا صخر إن أبكيت عينيي فقد أضحكتني زمنا طويلا
دفعت بك الحروب وأنت حتى ضمن ذا يدفع الخطيب الجليلا.
إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وفي مكان آخر وهي ترثي أخاها:

يا عين مالك لا تبكين تسكابا إذا رأب الدهر وكان الدهر ريابِ
فابكي أخاك لإيتام وأرملة وابكي أخاك إذا جاورت أجابا
وابكي أخاك لخيل كالقطا عصبا فقدن لما ثوى سئيبا وأنهابا [٢]

---

[١]- تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ص ١٦٤ الجزء الأول الطبعة الثانية.
[٢]- ثوى: مضى، ديوان الخنساء ص ١٩.

وابنتها عمرة أيضا شاعرة مشهورة ورثت عنها الشعر وتسمى ملكة الشعر وبقيت بعض أشعارها في ديوان أمها [١].

٢-هند بنت الخنس: هي هند بنت الخنس بن حابس بن قريط الإيادية، فصيحة جاهلية كانت ترد سوق عكاظ ولها أخبار فيه، قال الجاحظ في وصفها: " من أهل الدهاء والنكراء واللسن واللعن، والجواب العجيب والكلام الصحيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة" [٢].

هي شاعرة ذات فصاحة وبلاغة قيل لها أي الرجال أحب إليك؟ فقالت: "السهل النجيب، السمع الحسيب، الندب الأريب، السيد المهيب". لها كلام طويل مع القس الكناني في سوق عكاظ في الجاهلية عن شعرها فقالت:

لقد أيقنت نفس الفتى غير باطل وإن عاش حسنا سوف يهلك.

ويشرب بالكأس الزعاف شرابها ويركب حد الموت كرها ويسلك

وكم من أخي دنيا يثمر ماله سيورث ذلك المال رغما ويترك

وروى أن ابنة الخنس قيل لها: أي الإبل خير؟ فقالت: " العالم السجل، الراحلة الفحل" [٣].

وقال ابن الأعرابي لابنة الخنس ما أحسن الشيء قالت: أثر الغادية في إثر سارية في ميثار أبيه" [٤]. وهي تلقب بالزرقا.

٣- زرقاء اليمامة: الشاعرة، الحكيمة، الناثرة: هي من بنى جديس من أهل اليمامة، مضرب المثل في حدة النظر وجودة البصر، يقال لها زرقاء

---

[١]- تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ص ١٦، الجزء الأول الطبعة الثانية.

[٢]- البيان والتبين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٣١٢ الجزء الأول.

[٣]- أثار أبي العلاء " شروح سقط الزند" ص ١١٨٧ الجزء الثالث.

[٤]- ديوان المفضليات، أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ،ص ٦٦٢.

اليمامة، وسميت زرقاء لزرقة عينيها، هي من بنات لقمان بن عاد ملك اليمامة، وحين قتلت رجل طسمى حسان بن تبع إلى اليمامة، فلما صار وأمن الجو على مسيرة ثلاث صعدت الأطم الذي يقال له الكلب فنظرت إليهم وقد استتر كل شجرة تليسا عليها فارتجزت بقولها:

أقسم بالله (لقد) دب الشجر أو حمير قد أخذت شيئا تجر[1]

٤- درة الهاشمية : درة بنت أبي اللهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم: هي شاعرة لها أبيات في يوم الفجار وهي ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد عيرتها بعض النسوة بأبيها،" تبت يد أبي لهب" فقال النبي عليه الصلاة والسلام فيها: " لا يؤذى حي بميت" [2].

٥- وختنوس: بنت لقيط بن زرارة الدارمية من تميم، هي شاعرة جاهلية لها أشعار (أورد منها النويري وهي في رثاء أخيها لقيط)، ومنها أبيات رواها القالي تعير فيها النعمان بن قهوس، التميمي بفرارة، وكان حامل لواء قومه في ذلك اليوم [3].

٦- الخرنق: هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بنى ضبيعة البكرية، العدنانية، شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة بن العبد لأمه وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، قتل زوجها بشير بن عمرو بن مرقد (سيد بنى أسد) يوم

---

[1]- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم جار الله عمر بن عمر الزمخشري ص ١٨/ ١٩.

[2]- الإعلام، خير الدين الزركلي ٣٣٨/٢.

[3]- المحبر ٤٣٦،وسمط اللالي ٨٣٥، والأغاني طبعة الدار ١٤٤/١١، والدر المنثور ١٩٠، والنويري ٣٥٣/١٥، والتاج ٤: ١٤٧، والأعلام ج ٢/ ٣٠٣.

قلاب، (من أيام الجاهلية) فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة، لها ديوان شعر- ط، صغير [1].

٧- وهيبة: وهيبة بنت عبد العزى بن عبد قيس: شاعرة جاهلية، قتل زوجها زيد بن مية، وكان في جوار الزبرقان بعار العقود عن أخذ الثأر للجار منها:

متى ترددوا عكاظ توافقوها بأسماع مجادعها قصار [2]

٨- كبشة بنت رافع: هي كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، الأنصارية الحذرية صحابية شاعرة هي أم سعد بن معاذ، عاشت في الجاهلية وصدر الإسلام ومات ابنها سعد سنة ٥هـ، فندبته بقولها: "ويل أم سعد صرامه وجدا" ومسع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " كل نادبة تكذب إلا نادبة سعد" [3].

٩- كبشة بنت معدى: هي شاعرة صحابية اسمها كبشة بنت معدى كرب الزبيدي أورد لها أبو تمام في "الحماسة" أبياتا ترثي لها أخا اسمه "عبد الله" وتحرض أخاها الثاني"عمرو بن معدي كرب" على الأخذ بثأره فقالت: حين أراد عمرو أخذ الدية :

وأرسل عبد الله إذا حان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمى
ولا تأخذو منهم إفالا وأبكرا واترك فى قبر بصعدة مظلم

كان ذلك في الجاهلية، وأدركت كبشة الإسلام فأسلمت، هي أم معاوية بن خديج الصحابي المعروف وعمه الأشعث بن قيس [4].

---

[1]- المصدر السابق.
[2]- الأعلام خير الدين الزركلي ٣٠٣/٨.
[3]- نفس المصدر ٢١٨/٥، ٢١٩.
[4]- المصدر السابق ٢١٨/٢١٩.

١٠- حرقة بنت النعمان: هي خرقة بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس من بنى لحم شاعرة من بيت الملك في قومها بالحيرة، قال الآمدى وهي القائلة:

وبنينا نسوس الناس والأمر أرث إذا نحن فيهم سوقه نتنصف

فأف الدنيا لا يدوم نعيمها تلعب تارات بنا وتصرف [١]

١١- خالدة بنت هاشم بن عبد مناف: خالدة بنت هاشم بن عبد مناف من قريش شاعرة من الحكيمات في الجاهلية وكانت تسمى قبة الديباج، لها رثاء في أبيها وأبيات في شأن آخر [٢].

١٢- جليلة بنت مرة: هي جليلة بنت مرة الشيبانية، شاعرة فصيحة من ذوات الشأن في الجاهلية وهي أخت جساس، أنشأت قصيدتها المشهورة التي مطلعها:

يا ابنة القوم إن شئت فلا تعجلي باللوم حتى تسألى [٣].

١٣- البسوس: هي بسوس بنت منقذ التميمية، شاعرة جاهلية يضرب المثل بشئومها عند ما جرحت ناقتها بسهم كليب وائل، أثارت جساس فقتل كليبا ووقعت الحرب بين بكر وتغلب وعرفت باسمها [٤].

---

[١]- الإعلام خير الدين الزركلي ص ٢١٨/٢١٩.

[٢]- نفس المصدر ٢/٣٣.

[٣]- قصص العرب ١/٧٤، لمحمد أحمد جاد المولى، على محمد النجاري، محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى الباهلي الحلبي

[٤]- وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب بنى وائل وقد مكثت اربعين سنة ووقعت فيها أيام كثيرة وهي ١- يوم النهي، ٢- يوم الذنائب، ٣- يوم واردات، ٤- يوم غنيرة، ٥- يوم القصيبات، ٦- يوم تحلاف اللمم، أيام العرب في الجاهلية محمد أحمد جاد المولى ص ١٤٢، طبعة ثانية بمصر.

١٤- عاتكة بنت زيد: هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية، شاعرة صحابية [١] حسناء عندما مات زوجها عبد الله بن أبي بكر رثتها بأبيات منها:

فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك خدى أغبرا

تزوجت عمر بن الخطاب فاستشهد ورثته، فتزوجها الزبير بن العوام وقتل، وهي المرأة التي كلامها مليء بالرثاء والحب لأزواجها.

١٥- صفية القرشية: هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم سيدة قرشية شاعرة باسلة وهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي قتلت يهوديا لصق بالحصين للجاسوسية، لها مراثي رقيقة في أخيها الخمرة وفي شعرها جودة ماتت في المدينة [٢].

١٦-عاتكة بنت عبد المطلب: هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، شاعرة لها في ديوان "الحماسة" أبيات مختارة وهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة [٣].

١٧- ناجية بنت ضمضم: هي ناجية بنت ضمضم المرية القطفانية: شاعرة من الجاهليات لها رثاء في أخيها هرم بن ضمضم [٤].

١٨- مية بنت ضرار: هي مية بنت ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد من بنى ضبة، شاعرة عاشت قبل الإسلام واشتهرت بأشعار قالت في رثاء أخيها "قبصية" [٥].

---

[١]- الأعلام ٢٠٦/٣.

[٢]- الإصابة كتاب النساء ٦٥١، والتبريزي ١٤٧/٤، وطبقات ابن سعد ٢٧/٨، والمحبر ١٧٢، وسط الليالي ١١٨، ورغبة الأمل ٩٦/٧، والدر المنثور ٢٦١.

[٣]- الأعلام ٣٤٢/٧.

[٤]- المصدر السابق ٣٤٥/٧.

[٥]- نفس المصدر ٣٤٢/٧.

١٩- ليلى العفيفة: اسمها ليلى بنت لكيز بن مرة بن أسد من ربيعة بن نزار هي شاعرة جاهلية قيل في خبرها، أسرها أحد أمراء العجم وحملها إلى فارس وحاول الزواج بها فامتنعت عليه وجاءها خطيبها "البراق بن روحان" فأنقذها وتزوج بها وهي صاحبة القصيدة المشهورة مطلعها:

ليت للبراق عينا فترى ما أقاسى من بلاء وعناء

قالتها في أسرها [١]:

٢٠- سارة الرظية : شاعرة من شواعر اليهود العرب في الجاهلية قالت ترثي من قتل من قومها في موقعة ذى حرض [٢].

بأهلي دمة لم تغن شيئا بذى حرض تعفيها الرياح

كهول من قريظة اتلفتهم سيوف الخزرجية والرماح

ولو أذنوا بحربهم لحالت هنالك دونهم حرب رواح [٣]

٢١- عوانة بنت جعيد : شاعرة من شواعر العرب، هجاها أوس بن حجر فردت عليها بقولها:

وفيشه من أحمر جعد العدد تنشط للورد وتأبى للصدر

لها إطار مثل بنيان المدر سد بها فقحة أوس بن حجر [٤]

---

[١]- نفس المصدر ٢٤٩/٥.

[٢]- ولد بالمدينة عند أحمد.

[٣]- إعلام النساء ١٣٨/٢.

[٤]- الأعلام لخير الدين الزركلي ٢١٨/٤.

٢٢- العوار بنت سبيع: هي شاعرة من شواعر العرب في العصر الجاهلي قالت:

أبكي لعبد الله إذ حشت قبيل الصبح ناره
طيان طاوي الكشح لا يرخى لمظلمة إزاره
يعصى البخيل إذا أرا د المجد مخلوعا عذاره [١]

٢٣- ليلى العامرية : هي ليلى بنت مهدي بن سعد أم مالك العامرية من بنى كعب ابن ربيعة، صاحبة المجنون "قيس بن ملوح العامري" تحابا وامتنع أبوها عن زواجها به وأكرهت الزواج بشخص آخر ويروى لها شعر منه:

كلانا مظهر للناس بغضا وكل عند صاحبه مكين
وكيف يفوت هذا الناس شئ وما في القلب تظهره العيون

٢٤- ليلى بنت مهلهل: ليلى بنت مهلهل التغلب، أم عمرو بن كلثوم التغلبي وهي التي بسببها كان مقتل عمرو بن المنذر" اللخمى ملك الحيرة كانت مشهورة للهيبة وحماستها الكبيرة في الجاهلية [٢].

٢٥- طهية: طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة من تميم من العدنانية نسب إليها بنوها من زوجها مالك بن حنظلة بن زيد مناة من تميم، كانت ناثرة عصرها [٣].

٢٦- جديلة: جديلة بنت مالك بن زيد مناة من الخزرج، أم جاهلية ينسب إليها ابنها "معاوية بن جديلة" ومن نسل معاوية هذا أبي بن كعب "الصحابي" كانت ناثرة كبيرة في قومها.

---

[١]- نفس المصدر ٢٤٨/٥.
[٢]- نفس المصدر ٢٤٩/٥.
[٣]- نفس المصدر ٣٣٣/٣.

٢٧- صفية بنت حي: هي صفية بنت حي بن أخطب من الخزرج، من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لها في كتب الحديث عشرة أحاديث، توفيت في المدينة[١].

٢٨- فاطمة بنت مر: فاطمة بنت مر الخثعية وهي كاهنة مكة وتحكي عنها أمور في باب الكهانة العجيبة، ومن أمثالها الشائعة بين العرب " قد كان ذلك مرة فاليوم لا " وهي التي رأت نور النبوة في وجه عبد الله بن المطلب، وقد قالت بعد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم.

بنى هاشم قد غادرت من أحبكم أمنية إذ للياه يعتلجان
كما غادر المصباح بعد خبوة فتائل قد مشيت له بدهان
وما كل ما نال الفتى من نصيبه بحزم ولا ما فاته بتوان
فأجمل إلى طالبت أمرا فإنه سيكفيه جدان يصطرعان [٢]

٢٩- بلقيس: هي ملكة اليمن العربية ...التي وصفت آيات القرآن الكريم عرشها بقولها:﴿وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾ [٣]وكانت تحكم اليمن حكما ديمقراطيا قائما على الشورى برغم الثقة المطلقة التي كان قومها يضعونها فيها، لما كانت تتحلى به من الحكمة والعدل والذكاء

٣٠- زينب بنت عمرو : ملكة جليلة ذات عقل ورأي ودهاء وحكمة وحزم وشدة وبأس مع جمال بارع وحسن باهر، ملكت الشام والجزيرة من قبل الروم، بعد قتل أبيها عمرو بن ظرف وهي تسمى "الزباء" ملكة [٤]

---

[١]- نفس المصدر ٢٠٦/٣.

[٢]- بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب السيد محمود شكري الألوسي البغدادي ٢٨٥/١، الطبعة الثانية.

[٣]- سورة النمل آية ٢٣.

[٤]- المرأة المصرية لدرية شفيق ٣٣.

تدمر العربية، ولما ارتفعت الزباء أريكة الملك، تحصن مملكتها مدائن وقصورا، ونهضت بأعباء بلدها وأدارت سياسة وقادت حروبه ونجحت في توسيع رقعته، وكانت تمتاز بشخصية قوية صلدة ويحكى عنها أنها كانت تقود المعارك الحربية كاملة الزينة فلا تعود إلى بيتها حتى تطمئن على سلامة رجالها، وانتصار وطنها، وزينب هذه تسمى "بالزباء" نظرا لغزارة شعر حاجبيها وسعة عينيها، وهما من علامات الجمال عند العرب وهي أيضا صاحبة القول المأثور "بيدى لا بيد عمرو" [1].

٣١- أم جندب: هي زوجة إمرئ القيس أمير شعراء العرب كانت معروفة لفصاحتها وبلاغتها والشجاعة الأدبية، مرة احتدمت بين زوجها ومنافسه في دولة الأدب، علقمة الفحل" مساجلة شعرية ففكرا في الاحتكام إلى ناقد خبير فاقترح علقمة تحكيم أم جندب، فقال زوجها:

خليلي مر بي علي أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

ورغم هذه الرشوة الغزلية التي حاول زوجها أن يستميل بها قلبها لتصرفه عن العزيمة، وجدت أم جندب في نفسها الشجاعة الأدبية التي قضت بها بتغليب شعر علقمة على شعر زوجها [1].

٣٢- صحر بنت لقمان: كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والكمال والفصاحة، وكان العرب يتحاكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها، ويقال عنها: هي أخت لقمان لابنته والله أعلم [3].

---

[1]- أعلام النساء الجزء الثاني ٦.

[2]- المرأة المصرية لدرية شفيق ٢٤.

[3]- بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب السيد محمود شكري الألوسى البغدادي الطبعة الثانية ٣٤٢/١

٣٣- حذام بنت الريان: وهي القائلة (لو ترك القطا ليلا لنام) [١].

٣٤-جمعة بن حابس الأيادي: كانت من حكيمات العرب ذات فصاحة ومنطق عذب لا تبارى بيانها وسلاطة لسانها.

٣٥- وجيهة بنت أوس: هي شاعرة أورد لها أبو تمام في "الحماسة" أبياتا في الحنين إلى وطنها، من رقيق الشعر، واستشهد البكري ببيت من شعرها على صحة اسم "النميرة" في ديار بنى تميم مما يدل على أنها جاهلية [٢].

٣٦- حليمة بنت الحارث: وهي المنسوب إليها "يوم حليمة" من أيام العرب و"مرج حليمة" ببادية الشام وكانت فيه الواقعة [٣].

٣٧- زينب الأسدية: هي بنت جحش بن رئاب الأسدية من أسد خزيمة : كانت من أجمل النساء في الجاهلية وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام بعد أن طلقت من زيد بن حارث وهي أول من حمل بالنعش من موتى العرب [٤].

٣٨- آمنة بنت وهب : من قريش أم النبي صلى الله عليه وسلم كانت أفضل امرأة في قريش نسبا ومكانة، امتازت بالذكاء وحسن البيان رباها عمها وهب بن عبد مناف وتزوجها عبد الله بن المطلب فحملت منه بمحمد صلى الله عليه وسلم وولدته بعد وفاة زوجها [٥].

---

[١]- نفس المصدر ٣٤٢.

[٢]- الأعلام لخير الدين الزركلي ١١١/٨.

[٣]- نفس المصدر ٣٢٠/٢.

[٤]- نفس المصدر ٥:٩٢.

[٥]- الأعلام ٦٦/٣.

أثر المرأة على الشعر الجاهلي مع نماذج وأقوال بعض النساء:

الشعر هو ديوان العرب كما قيل: ويلعب فيه العرب الجاهلية دورا كبيرا بأقوالهم بصورة حقيقية رائعة بديعة وكذلك المرأة العربية الجاهلية أيضا ساهمت وأضافت إليه كثيرا، فهناك كثير من النسوة اللواتي برزن في هذا الفرع (الشعر) من الأدب العربي الجاهلي ولو نستطيع أن نجمع أو نأتي بأسمائهن لا تكفينا هذه الأوراق لذا نلمح إليهن بشيء من الاختصار ونختار بعض كلامهن في هذا العصر.

١- آمنة بنت وهب: أم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وهي في حال النزع، وقد أسفت لتركها ولدها محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا عن عطف الأب والأم:

بارك فيك الله من غلام ... يا ابن الذي في حومة الحمام
تجابعون الملك العلام ... فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... تبعث في الحل وفي الحرام
تبعث بالتوحيد والإسلام ... دين أبيك البرابر اهام
فالله ينهاك عن الأصنام ... أن لا تواليها مع الأقوام [1]د

٢-الخرنق بنت بدر: أخت طرفة بن العبد لأمه توفيت سنة ٥٧٠م قالت تفخر بزوجها بشر بن عمرو وصحابته:

لقد علمت جديلة أن بشرا ... غداة مربح مر التقاضي

---

[1]- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص ١٢١، الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م بيروت.

غداة أتاهم بالخيل شعثا يدق نسورها حد التقاض
عليها كل أصيد تغلبي كريم مركب الحدين ماض
بأيدهم صوارم مرهفات جلاها القين خالصة البياض
وكل مثقف بالكف لدن وسابغة من الحلق المفاض
فغادر معقلا وأخاه حصينا عفير الوجه ليس بذى النهاض

٣-زرقاء اليمامة: واسمها عنز وكانت مشهورة بحدة البصر، قالت تحذر قومها من عدوهم وأنه آت مختبئا وراء الشجر:

خذوا حذركم يا قوم ينفعكم فليس ما قد أرى بالأمر يحتقر
إني أرى شجرا من خلفها بشر وكيف تجتمع الأشجار والبشر؟
ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم فإن ذلك منكم فاعلموا ظفر
ضموا طوائفكم من قبل داهية من الأمور التي تخشى وتنتظر
فقد زجرت ستيح القوم باكرة لو كان يعلم ذلك القوم إذ بكروا
إني أرى رجلا في كفه كتف أو يخصف النعل خصفا ليس يعتبر

٤- الخنساء بنت زهير بن أبى سلمى : هي شاعرة مشهورة قالت ترثي أباها :

وما يغنى توفي الموت شيئا ولا عقد التميم ولا الفضار
إذا لاقى منية فأمسى يساق به وقد حق الخدار
ولاقاه من الأيام يوم كما من قبل لم يخلد قدار [٢]

---

[١]- نفس المصدر ٧٤.
[٢]- نفس المصدر ٧٦.

٥- فاطمة بنت مر: كانت من فضيلات بنى خثعم وهي كاهنة، أرادت ينكحها عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم وتعطيه مائة من الإبل فقال لها ما ذاك إلي وإنما أنا راجع في ذلك إلى إرادة أبي فزوجه أبوه آمنة بنت وهب الزهرية فقالت:

إني رأيت مخيلة لمعت ... فتلألأت بحناتم الفطر
فسما بها نور يضي به ... ما حوله كإضاءة البدر
ورايت سقياها حيا ... وقعت به وعمارة القفر
فرجوته فخرا أبو به ... ما كل قادح زنده يور [١]
لله ما زهرية سلبت ... مني الذي سلبت وما تدرى

وقالت أيضا:

بني هاشم قد غادرت من أخيكم ... امنية إذ للياة يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده ... فتائل قد بلت له بدهان
فما كل ما يحوى الفتي من تلاوة ... لعزم ولا ما فاته لتوان [٢]

٦- جمعة بين الحنس: أخت هند وهي من فاضلات النساء قالت:

اشد وجوه القول عند ذوى الحجا ... مقالة ذي لب يقول فيوجز
وأفضل غنم يستفاد ويبتغي ... ذخيرة عمل يحتويها ويحرز
وخير خلال المرء صدق لسانه ... وللصدق فضل يستبين ويبرز
وانجازك الموعود من سبب الغني ... فكن موفيا بالوعد تعطى وتنجز
ولا خير في حر يريك بشاشة ... ويطعن من خلق عليك ويلمز

---

[١]-المصدر السابق ١٢٣.
[٢]- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ١٢٣.

إذا المرء لم يستطيع سياسة نفسه فإن به عن غيرها هو أعجز [1]

٧- هند بينت عتبة: زوجة أبي سفيان بن صخر بن حرب وأم معاوية بن أبي سفيان قالت وهي ترقص ولدها معاوية: .

إن بنى معرق كريم محبب في أهله حليم
ليس بفحاش ولا لئيم ولا بطخرور ولا سئوم
صخر بن فهد بن زعيم لا يخلف الظن ولا يخيم [2]

٨- هند بنت الحنس: وهي من فضيلات النساء صاحبات العقل والحكمة: قالت:

لقد ألفت نفس الفتى غير باطل وإن عاش حينا أنه سوف يهلك
ويشرب بالكأس الزعاف شرابها ويركب حد الموت كرها ويسلك
وكمن من أخي دنيا يثمر ماله سيورث ذلك المال رغما ويترك
عليك بأفعال الكرام ولينهم ولا تك ميشكاسا تلج وتمحك
ولا تك مزاحا لدى القوم لعبة تظل أخا هز بنفسك يضحك
تخوض بجهل سادرا في فكاهة وتدخل في غي الغواة وتشرك
الأرب ذى حظ ينصر فعله وآخر مصروف به الحظ يؤفك [3]

٩- عاتكة بنت عبد المطلب: شاعرة من شاعرات العرب قالت تبكى أباها عبد المطلب:

---

[1]- نفس المصدر ٧٦.
[2]- نفس المصدر ١٣٨.
[3]- أعلام النساء عمر رضا كحالة ٢٣٢/٢٣١ الجزء الخامس طبعة ثانية دمشق سنة ١٩٥٩م.

اعينى جودا ولا تبخلا	بدمعكما بعد نوم النيام
اعينى واستعبرا واسكبا	وشوبا بكاءدما بالسلام
اعيني واستخر لها واسجما	على رجل غير نكس كهام
على الجحفل الغمر في النائبات	كريم المساعي وفي الزمام
على شيبة الحمد وأرى الزناد	وذي مصدق بعد ثبت المقام
وسهل الخليفة طلق البدين	وف عد ملى صميم لهام [1]

أثر المرأة على النثر الجاهلي ونماذج منها:

من المعروف أن العصر الجاهلي غني بالشعراء والشاعرات، نسوق إليك بعضا من الأسماء اللامعة في هذا العصر، فقد سبق ان اقتطفنا من بحار الشاعرات قطرات فيما أوردناه، وآن أن نأتي بذكر النسوة اللواتي برزت في ميدان النثر الأدبي ولنضع بين يديكم نماذج من النثر الذي تفوهت به تلك النسوة في الجاهلية وعسى أن يكون في هذا كفاية لوضع القاري على أرض صلبة لمعرفة نثر المرأة الجاهلية والتذوق به.

١-امرأة عوف الشيباني: هذه وصية امرأة عوف الشيباني إلى ابنتها ليلة زفافها:

فقالت أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للفاخل ومعونة للعاقل، ولو أن المرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتها إليها كنت أغنى الناس ولكن النسوة للرجال خلقن ولهن الرجال، أي بنية أنك فارقت بينك الذي منه خرجت وعشك الذي فيه درجت إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، تكوني له أمة

---

[1]- نفس المصدر ٣/٢٠٧، ٢٠٨.

يكن لك عبدا، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا، أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة، وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينه، وأنفه فلا تقع عينه فيك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب رحب، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهية وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله، ورعاية حشمه، وعياله... الخ، واعلمي أنك لا تبلغين ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت أو كرهت والله يخير لك [1].

٢- حرقة بنت النعمان المنذر: لما قدم سعد بن أبي وقاص القادسية اتته حرقة بنت النعمان المنذر في جوار، كلهن في مثل ريها يطلبن صلته، فلما وقفن بين يديه، قال: أيتكن حرقة؟ قلن : هذه، قال لها: أنت حرقة؟ قالت نعم، فما تكرارك في السؤال؟. إن الدنيا دار زوال، لا تدوم على حال، إنا كنا ملوك هذا المصر، يجبي إلينا خراجه، ويعطينا أهله مدى الإمرة، وزمان الدولة، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملأنا وكذلك الدهر يا سعد، إنه ليس يأتي قوما بمسرة ويعقبهم حسرة [2].

٣- عبدة الكلبية: هي امرأة من العرب كانت مذكورة بالسخاء، فقد روى أبو بكر دريد بسنده إلى أبى عبيدة، قال: مر رجل من أهل الشام بامرأة من كلب، فقال هل من لبن ليباع؟ فقالت: إنك لئيم أو عهد قريب بقوم لئام، هل يبيع الرسل كريم ؟ أو يمنعه إلا لئيم إنا لندع الكرم لأضيافنا تكوس، إذا عكف الدهر الضروس ونغلي اللحم غريضا ونهينه نضيجا [3].

---

[1]- تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات ص ٣٦، الطبعة الرابعة والعشرون.

[2]- قصص العرب محمد أحمد جاد المولى وغيره ص ٩٥، دار احياء الكتب العربية.

[3]- بلوغ الأرب السيد محمود شكري الألوسي ص ٩١، طبعة ثانية ٢.

٤- سلمى من بنى كنانة: هي التي أصابها عروة بن الورد، فاعتقها واتخذ لنفسها ثم تزوجها رجل من بنى عمها، فقال لها يوما : يا سمى اثنى على كما اثنيت على عروة، -وكان قوله فيه شهرة- فقالت له: لا تكلفني ذلك فإني إن قلت الحق غضبت ولا اللات والعزى لا أكذب" فقال لها:عزمت عليك لا تأتيني في مجلس قومي فلتثنين علي بما تعلمين فقالت سملى عند ما رأته يجلس في المجلس:"انعموا إصباحا، إن هذا عزم على أن أثني عليه بما أعلم، ثم اقبلت عليه فقالت:"والله إن شربك لاشتفاف وإنك لتنام ليلة تخاف وتشبع ليلة تضاف وما ترضى الأهل ولا الجانب [١].

٥- حديث النسوة اللواتي صورن في قوارب نثرية متعة أية أزواجهن في الجمال الفني الرصين وصدق العاطفة الجياشة:

خرجت بعض النساء من خثعم وهي قبيلة من قبائل رب اليمن في قرية من قرى اليمن في الجاهلية إلى مجلس، فجلسن وقلن تعالين فنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا [٢]، فتكلمت كل واحدة منهن في وصف زوجها بكلام بلغ من فصاحة الألفاظ وبلاغة العبارة والبديع ما لا يزيد عليه فقالت الأولى منهن وهي:

الأولى: مهدد بنت أبي هزومة : زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعث لا سهل فيرتقى ولا سمين فينقل [٣].

الثانية: كشبة بنت الأرقم: قالت:زوجي العشنق إن انطق اطلق، وإن سكت اعلق [٤].

---

[١]- قصص العرب محمد أحمد جاد المولى وغيره ص ٨٥.

[٢]- بلوغ الأرب ٣/٣٥.

[٣]- نفس المصدر ص ٣٦.

[٤]- نفس المصدر ٣٧.

الثالثة: حيتي بنت علقمة قالت عن زوجها: "زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد ولا يرفع اليوم لغد" [١].

الرابعة: بنت أوس بن عبد ود قالت:"زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث " [٢].

الخامسة: هند قالت: "زوجي عياياء طباقاء كل داء له آء شجك أو قلك أو جمع كلالك" [٣].

السادسة: عمرو بنت عمرو قالت:"زوجي ألس من أرنب، والريح ريح زرنب" [٤].

السابعة: كبشة قالت عن زوجها: " زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النار" [٥].

الثامنة: حيتي بنت كعب قالت : " زوجي مالك ومالك خير من ذلك له بل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر ايقن أنهن هوالك" [٦].

التاسعة: عاتكة أخبرت عن زوجها بهذه الكلمات: " زوجي أبو زرع، فما أبو زرع ؟ أناس من حلي أذنى وملأ من شحم عضدي وبجحني فبجحت إلى نفسي وجدني من أهل غنيمة يشق وجعلني من أهل صهيل واطيط ودائس ومنق " [٧].

---

[١]- المصدر السابق ٣٨.
[٢]- بلوغ الأرب ٣٩.
[٣]- نفس المصدر ٤٠.
[٤]- أيضا ٤٠.
[٥]- بلوغ الأرب ٤١.
[٦]- نفس المصدر ٤٢.
[٧]- نفس المصدر ٤٤.

٦- هند ابنة الخنس : يقال لها الزرقاء أيضا هي شاعرة ناثرة، خطيبة ذات فصاحة وبلاغة وحكمة قيل لها : أي الرجال أحب إليك قالت : " السهل النجيب، السمع الحسيب، الندب الأديب، السيد المهيب" [١].

وقيل لها: أي الرجال أبغض إليك؟ قالت: "الأورة النوم، الوكل السموم، الضعيف الخيروم، اللئيم الملول" [٢].

وقيل لها : فأي النسوة أحب إليك ؟ قالت : " البيضاء العطرة كأنها ليلة قمرة " [٣].

وقيل لها: " أي النسوة أبغض إليك ؟ فقالت : العنفص القصيرة التي إن اسطنتقتها سكتت، وإن سكت عنا فنطقت" [٤].

وقيل لها أي النساء أفضل إليك ؟ فقالت : "التي مثلت أغبرت، وإذا أنطقت صرصرت متوركة جارية في بطنها جارية يتبعها جارية أي هي مئناث" [٥].

وقيل لها ما أحسن الشيء ؟ فقالت : أثر غادية في أثر سارية في ميثاء رابية" [٦].

٧- حذام بنت الريان: هي التي قالت القول المعروف الذي جرى مثلا على ألسنة العرب: "لو ترك القطا ليلا لنام" [٧]، يضرب، لمن حمل على مكروه من غير إرادته.

---

[١]- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ٢٣١/٥.
[٢]- المصدر السابق ٢٣١.
[٣]- نفس المصدر ٢٣١.
[٤]- نفس المصدر ٢٣١.
[٥]- المصدر السابق ٢٣٢.
[٦]- ديوان المفضليات أبو العباس المفضل ٦٦٢، بيروت.
[٧]- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ١٧٤/٢، بمصر .

٨-الزباء بنت عمرو: هي زينت ملكة تدمر يقال لها : "الزباء" وهي صاحبة القول المأثور: "بيدي لا بيد عمرو"[١]، هذه الملكة كانت ذات عقل ورأي ودهاء وحكمة وحزم وشدة بأس مع جمال بارع وحسن باهر، ملكت على الشام، والجزيرة من قبل الروم بعد قتل أبيها عمرو بن ظرف، فأرادت أن تأخذ ثأرا أبيها، فجمعت جيشا وهجمت على جذيمة بن الأبرش[٢]، وفي هذه المعركة قتل جذيمة، وكان له وزيرا وفيا يقال له عمرو بن عدي، وهذا الوزير أراد الأخذ بالثأر لقتل الملكة من "الزباء" فجاء إلى الزباء وقال لها إنه يريد عندها الالتجاء، فاتخذته الزباء خادما في القلعة، وأخذ يعيش عمرو في القلعة التي تعيش فيها هذه الملكة، وهكذا حصل على أخبار القلعة كلها، حتى أصبح ملما بخفاياها وأسرارها، فقال الملكة إنه يريد التجارة بين اليمن ووطنه القديم، فأخذ ينتقل بين البلدين، وعند ما حصل على اعتماد الملكة عاد من وطنه برجال كثيرين في الصناديق المليئة بالسلاح التي كانت لها خروق فيها، ووضعت الصناديق على الجمال، وعندما دخل اليمن رأتها الزباء فقالت:

يا قصير ما للجمال وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا [٣]

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على أبواب المدينة فلما توسطت الإبل المدينة أينخت ودل قصير عمرا على باب النفق قبل ذلك، وأراد إياه، فخرجت الرجال من الغوائر وصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح، وقام عمرو بن عدي على باب النفق وأقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله، وأبصرت عمرا قائما فعرفته

---

[١]- أعلام النساء عمر رضا كحالة الجزء الثاني ٦.

[٢]- الأصل هو أبرص وهو مرض ولكن الناس كانوا خوفا من الملك يقولون الأبرش.

[٣]- المصدر السابق ٧٠.

بالصورة التي كان صورها لها المصور، نمصت خاتمها وكان فيه سم، وقالت: "بيدي لا بيدي عمرو" فذهبت مثلا وتلقاها عمرو بن عدي، وجللها بالسيف وقتلها وأصاب ما أصاب من أهل المدينة وانكف راجعا إلى العراق.

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- آثار أبي العلاء "شرح سقط الزند" الجزء الثالث.
٣- الأدب العربي د. عناد غزوان إسماعيل د. نوري حمودي علي د. فائق أمين علي، الطبعة السادسة ١٩٧٧م، مطبعة السعدون بغداد.
٤- الأعلام – ضمير الدين الزركلي.
٥- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة الجزء الثاني والخامس بدمشق ١٩٥٩م.
٦- الأغاني لمحمد مسعود الطبعة الأولى بمطبعة الجمهور الكائنة بجوار الكتب خانة الخديوية والآثار العربية ١٣٢٣هـ.
٧- بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب السيد محمود شكري الألوسى البغدادي الطبعة الثالثة المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٥م.
٨- البيان والتبين لأبي عثمان عمرو بن بحر الباحظ الجزء الأول مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨م القاهرة.
٩- تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات.
١٠- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي د. شوقي ضيف الطبعة الثامنة دار المعارف بمصر.
١١- تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان الجزء الأول الطبعة الثانية دار المعارف بمصر.
١٢- تاريخ الإسلام الدكتور حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام الدكتور شكري فيصل دار العلم للملايين ١٩٨٤م.
١٤- ديوان الخنساء المكتبة الثقافية بيروت -لبنان ١٩٦٣م.
١٥- ديوان المفضليات لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي بمطبعة الأباء اليسوعيين بيروت.
١٦- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام لبشير يموت، الطبعة الأولى بيروت ١٩٣٤م.
١٧- قصص العرب لمحمد أحمد جاد المولى على محمد النجاوي، محمد أبو

الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية، عيسى البالي الحلبي.
١٨- المرأة المصرية ، درية شفيق عربي نثر.
١٩- المستقصى في أمثال العرب، أبو قاسم جار الله عمر بن عمر الزمخشري بحيدر آباد الدكن، الهند.
٢٠- معالم التاريخ الإسلامي لأحمد صادق حسن دكتور عصام الدين عبد الرووف، محمد عبد الفتاح، جمهورية مصر العربية ١٩٨٠م.
٢١- المعلقات السبع لأمير الشعراء امرئ القيس.
٢٢- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه للشيخ أحمد الأسكندري والشيخ مصطفى.
٢٣- Speeches & Writings of Mr. Jiannah by sheikh Muhammad Ashraf Vol.١١